الفصل الخامس

أوضاع الأقليات الإسلامية في الاتحاد السوفيتى القديم

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس
أوضاع الأقليات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى القديم
قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

مدخـــل

تبدو معالجة وضع الأقليات والأغلبيات الإسلامية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في إطار توقع ودراسة الخيارات المستقبلية أمرا خارجا عن نطاق الدراسة، باعتبار أن هذه الجمهوريات تضم أغلبيات مسلمة، إلا أن الصراع حول بحر قزوين من جانب الدول الكبرى مثل أمريكا وروسيا والصين ومحاولة احتواء روسيا والصين للتدخل الأمريكي في المنطقة دفع الولايات المتحدة لأن تعلن الحرب على الإرهاب وتكون البداية من الحرب على أفغانستان، وعقد المعاهدات والصفقات التجارية والعسكرية مع الدول ذات القوة المؤثرة في الاتحاد السوفيتي القديم مثل كازاخستان، وتركمانستان ، فالمنطقة تعد بؤرة صراع منذ القدم لأهميتها الإستراتيجية للدول الاستعمارية الكبرى.

كما كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) تأثير مباشر على وضع المسلمين في الاتحاد السوفيتي القديم وخاصة الدول التي تدخل في صراع قديم مع روسيا مثل الشيشان التي كانت وفق اتفاقية (١٩٩٨م) والتي عقدت بين " أصلان مسخادوف " رئيس الشيشان "وألكسندر ليبيد " مسئول المفاوضات الروسية أن تحصل الشيشان على استقلالها بنهاية عام (٢٠٠١م) ، إلا أن أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) عطلت مشروع الاستقلال ، ووجدها روسيا فرصة لإلغاء هذه الاتفاقية، في أعقاب التوجه العالمي لمحاربة الإرهاب ، وطالبت روسيا الأمم المتحدة وضع حركة المقاومة الإسلامية في الشيشان ضمن المنظمات الإرهابية التي كانت تتلقى أموالا من "أسامة بن لادن " زعيم تنظيم القاعدة.

الدين والدولة في روسيا :

تاريخيا لم تؤمن روسيا في بداياتها بدين أو عقيدة، وظلت على وثنيتها حتى نهاية القرن العاشر الميلادي، حيث لم تكن تسمع عن الأديان والعقائد السائدة فى ذاك

obeikandl.com

الوقت ، وذلك نظرا للعزلة التي كان يفرضها الأباطرة الروس على الشعوب التي تخضع لهم، وظلت روسيا هكذا حتى مجيء الإمبراطور "فلاديمير" الذي رأى أنه قد آن الأوان لأن يترك عبادة الأوثان ويبحث له عن دين جديد، فأخذ يتعرف على الأديان في الدول المجاورة ليختار منها ما يناسبه ويحقق له ذاته ، وقد رفض اليهودية باعتبار أن شعبها مشتت وليس له وطن بعد طرده من القدس ، وكذلك رفض الإسلام بزعم أن هذا الدين يحرم الخمر والعلاقات النسائية، كما لم يقبل المسيحية الكاثوليكية لأنها خالية من الجلال والخشوع ، وسيخضع فيها لسلطة الكنيسة، وأعجبته الأرثوذكسية نظرا لروعة ملابس القساوسة ورائحة البخور ، وارتضاها دينا له في عام (٩٨٨م) ميلادية، وفي إطار نشره لهذا الدين الجديد من وجهة نظره أصدر مرسوما يقضي بأن يذعن الروس كافة للديانة المسيحية والكنيسة القسطنطينية[١] .

والثابت تاريخيا أن دخول الإسلام آسيا الوسطي وشمال القفقاس يعود إلى القرن السابع الميلادي، وذلك إبان العهد الأموي وعقب فتح إيران عام (٣١هـ) أرسل "معاوية بن أبي سفيان " أحد قواده ويدعى " قيس بن الهيثم " الذي تولى ولاية خراسان[٢] ، ويذكر أن أهل " بادغيس وهراه وبلخ " قد نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين زمن خلافة " عثمان بن عفان "، فصار إلى بلخ وخرب معابدها وعاد أهلها يطلبون صلحا جديدا مع المسلمين بالشروط التي يراها "قيس بن الهيثم" .

ثم قامت جماعة من التجار المسلمين على نشر الإسلام في منطقة آسيا الوسطي وبلاد القفقاس، عندما طلبوا من الخليفة العباسي المقتدر أن يرسل إليهم من يعلمهم الدين الإسلامي، فأرسل إليهم وفدا على رأسهم "ابن فضلان" الذي كتب رسالة عرفت باسمه "رسالة ابن فضلان" واصفا فيها طبائع وسلوكيات هذه الدول عند معرفتهم بالإسلام لأول مرة.

والمسلمون في بلاد الاتحاد السوفيتي القديم، سواء في جمهوريات آسيا الوسطي وما وراء النهر، أو حول الفولجا وبجوار الأورال في جمهوريات الحكم الذاتي التابعة لروسيا الاتحادية، أو في الجمهوريات المستقلة الأخرى مثل أوكرانيا وجورجيا وغيرهما ينقسمون إلى أنماط متعددة، فالفلاحون وكبار السن الذين يعيشون في وسط آسيا في أوزباكستان وقيرغيزستان وغيرهما من الجمهوريات هناك لا يزالون على حالهم من

تمسكهم القديم بتعاليم الدين، والمحافظة على الصلاة والصيام، وتزداد هذه الظاهرة وضوحا في تلك الأماكن الزراعية والجبلية، وأغلبهم ينتمون إلى الطرق الصوفية.

ومع ذلك لا نستطيع أن ننفي أن بعض المسلمين في الجمهوريات الإسلامية الروسية ما يزالون يصرون على تمسكهم بالإسلام، وهم لا يعلمون عنه شيئا، وكثيرا منهم يردد بالعربية : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهي غاية ما يعرفه عن الإسلام، بل إن بعضهم يشربون الخمر، ويمارسون الرذيلة وهم لا يعلمون أن الإسلام يرفض هذه السلوكيات بل يحرمها، ويعاقب من يرتكبها [٣] .

إن ساحة هؤلاء القوم من المسلمين القدامى في آسيا الوسطي تستقبل اليوم غير المسلمين، يقدمون لهم فكرا وثقافة مغايرة ويجذبونهم إلى أديان ومعتقدات شتى فالمدارس ودور الحضانة النصرانية مفتوحة بدون تكلفة لأبناء المسلمين، ويقوم القساوسة بأنفسهم بالتدريس لهم لتربية جيل جديد يدين بالنصرانية من أبناء المسلمين، فما هو واجب المسلمين نحو هؤلاء إن كانوا يعرفون الواجب حقا؟

الاتحاد السوفيتي القديم :

يضم الاتحاد السوفيتي القديم (١٥) جمهورية منها (٦) جمهوريات يشكل المسلمون فيها الأغلبية من السكان هذا فضلا عن الأقاليم الملحقة بالجمهوريات الخمسة عشر، وطبقا لدستور الاتحاد السوفيتي القديم والصادر عام (١٩٢٣م) ، والمعدل بقانون (١٩٣٦م) ثم تعديل (١٩٧٧م) تعد الجمهوريات الإسلامية (الاتحادية) التي ورثها الاتحاد السوفيتي عن الإمبراطورية القيصرية، وهي ست دول سبق الإشارة إليها، لها الحق في إدارة شؤونها المحلية مستقلة وتمتاز بأنها تضم قومية واحدة وأقليات من قوميات أخرى، كما أتاحت لها المادة (١٧) من دستور الاتحاد الحق في الانفصال دون التضييق عليها في ذلك.

أما الجمهوريات المحكومة ذاتيا ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية فلا تملك حق الانفصال عن الاتحاد مثل غيرها، ولكنها تبعث بمندوبين إلى مجلس القوميات للاتحاد السوفيتي ، وهي مستقلة في إدارة شؤونها الداخلية، وتساهم عن طريق ممثليها في إدارة شؤون الجمهوريات الاتحادية ، وتزول سلطاتها أمام سلطات الجمهورية الاتحادية .

ويبلغ عدد المسلمين في جمهوريات الاتحاد السوفيتي القديم، أغلبيات وأقليات وفق إحصاءات عام (٢٠٠٠م) حوالي (٨٠) مليون مسلم، مما يؤكد حقيقة حجم التكتل الإسلامي الضخم في المنطقة، واستطاع المسلمون عبر حقب زمنية عديدة مقاومة عملية الترويس الرامية إلى نشر اللغة والثقافة الروسية، وإلغاء ما عداها من ثقافات، وكذلك مقاومة الروسنة والتي تقوم على تحويل غير الروسي من أبناء القوميات الأخرى- غير الروسية- إلى الروسية [٤] .

وما يحدث الآن في آسيا الوسطي وشمال القفقاس ما هو إلا تعبير بصوت عال عن الهوية الإسلامية التي اختفت لسنوات طويلة،والزيف التاريخي للأيديولوجيات التي كانت سائدة في تلك الدول وظن القائمون عليها أنها ستستمر أبد الدهر.

وينقسم المسلمون في الاتحاد السوفيتي القديم إلى عدة شعوب وقوميات وأجناس تجمعهم العقيدة الإسلامية، ومع أن انتشار المسلمين في دول الاتحاد السوفيتي السابق لا يشكل وحدة جغرافية متجانسة، إلا أنهم وقبل استيلاء البلاشفة على السلطة عام (١٩١٧م) كانوا يشكلون وحدة سياسية وحضارية متميزة تطورت عبر السنوات التي سبقت انهيار الإمبراطورية الروسية [٥] .

فالمسلمون الذين عاصروا تحول الإمبراطورية الروسية إلى اتحاد الجمهوريات الروسية من قازان في باشير، ومن سهول سيبيريا حتى نهر أراكس على الحدود الروسية التركية لم يكونوا يؤلفون كتلة متماسكة أو متجانسة، نظرا لقيام المسلمين في القفقاس وما وراء النهر بالتوسع في ضم أراضٍ جديدة للإسلام وانضمام جماعات كبيرة من مختلف الأجناس والأعراق، والأديان والثقافات إلى الإسلام.

وحتى بداية القرن العشرين – وعلى الرغم من طول الفترة الزمنية التي قضاها المسلمون في آسيا الوسطي وشمال القفقاس - لم يكن المسلمون الروس على درجة واحدة من التجانس، وهذا يرجع إلى بعد المناطق التي كان يسكنها المسلمون ، وانعزال بعضها عن بعض بجانب فقدان الوحدة العرقية واللغوية بين المسلمين هناك ، فالمسلمون الترك يمثلون ٧٥% من مجموع السكان و ٢٠% موزعة على إيراني آسيا الوسطي، وعلى القفقاس وما وراء القفقاس من أبخاز وشيشان وأنجوش وداغستان والكاباردو، أما الـ ٥% الأخيرة فهي تشمل الأتراك المسيحيين مثل قبائل غاغور في مولدافيا وتشوفاش في الفولجا، والياقوت والألتاى في سيبيريا [٦] .

وقد كان الاتحاد السوفييتي السابق ثمرة ثورة (١٩١٧م) ، والتي ظلت لمدة عقد من الزمان حتى أطاحت بالقيصر "نيقولا الثاني" ، وكان يطلق على المجموعات الثورية لقب السوفييت أي المجالس، وكان أساس هذا الاتحاد يقوم على أن تكون الأقاليم معا ما يشبه الائتلاف، وأن يكون لكل إقليم حريته، وبدأ الاتحاد يعلن عن نفسه رسميا في عام (١٩٢٢م) ، وأسرعت دول عديدة للانضمام إليه حتى أصبح عددها (١٦) جمهورية، إلا أنها أصبحت (١٥) جمهورية فقط عند انفكاك الاتحاد، وعرفت هذه الدول باسم الاتحاد السوفييتي Soviet union أو اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية Union of Socialist Soviet Republics .

وبمجرد سقوط الإمبراطورية الروسية عاد بعض القادة الثوار إلى روسيا، رغبة البحث عن دور يلعبونه في النظام الحاكم الجديد ، فعاد "لينين " من سويسرا، "وتورنسكي " من واشنطن "وستالين " من سيبيريا ، إلا أن "لينين" والمجموعة المؤيدة له استطاعت أن تتولى رئاسة الحكومة ، وتبنى الاتجاه الشيوعي في السلطة ثم خلفه "ستالين" الذي عرف عنه العنف والشدة ضد الأقليات المسلمة في الجمهوريات السوفيتية، إلا أنه وفي (٨ / ١٢ / ١٩٩١م) تم الإعلان رسميا عن انفصال الجمهوريات السوفيتية وذلك في مدينة برست بجمهورية بيلاروسيا من خلال بيان رسمي من الدول التي كانت نواته عند تشكيله عام (١٩٢٢م) والذي ضم روسيا، وبيلاروسيا وأوكرانيا، ويختفي ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي السابق .

obeikandl.com

الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطي
ومنطقة شمال القفقاس

يذكر تاريخيا أن المسلمين قدموا إلى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في القرن الأول الهجري . وكانت البداية بفتح أردبيل حاضرة جمهورية أذربيجان عام (٢٢هـ) ، فبعد فتح إيران اتجهت الجيوش الإسلامية إلى بلاد ما وراء النهر وهو نهر "جيحون" أو ما يعرف حاليا بنهر أمودريا، حيث توغلت الشعوب التركية داخل آسيا الوسطي لبلاد القفقاس وبعض أجزاء من الصين، واستولى المسلمون على بيكند وبخاري عام (٥٤ هـ) الواقعة حاليا في أوزباكستان، واستكملوا فتوحاتهم فاستولوا على ترمذ في جنوب أوزباكستان (٦٥هـ) ثم سيطر " قتيبة بن مسلم " على كل طخارستان عام (٨٦م) ، وتضم شمال أفغانستان وجنوب أوزباكستان وطاجيكستان الحالية [٧] .

إلا أنه وفي عام (٩٠هـ) تم فتح بخارى وإقليمها ثم استكمل " قتيبة بن مسلم " فتح ما تبقى من سجستان إلى الجنوب من هراه، أو هيرات الواقعة حاليا في الأراضي الأفغانية، وواصلت الجيوش الإسلامية فتوحاتها حتى تم فتح سمرقند إلى الشرق من بخارى – أوزباكستان الحالية – واتجهوا غربا وفتحوا خوارزم ، وهو الإقليم المحيط ببحيرة خوارزم أو بحرالأورال ، ويضم حاليا أجزاء من أوزباكستان وجنوب كازاخستان وشمال تركمانستان في عام (٩٦هـ) [٨] .

ثم أعاد قتيبة فتح حوض نهر سيحون أو سيرداريا حاليا بما فيه من مدن، ووصل إلى مدينة فرغانة الواقعة شرق أوزباكستان، وفي نفس العام تم فتح أجزاء من الصين ودخل الإسلام أرض تركستان الشرقية التي تعد إحدى مقاطعات الصين حاليا، وحدثت مواجهات عنيفة بين الإسلام والروس الذين كانوا يعتنقون المسيحية واتجهوا نحو الأراضي الإسلامية من منتصف القرن الـ (١٦) عندما عزمت روسيا على أن توجد لها منفذا إلى المناطق الدافئة، واعتبرت روسيا أن مدخلها الطبيعي المناطق الإسلامية في القفقاس أو في آسيا الوسطي.

وبدأ الروس بعد حالة الضعف التي كانت قد أصابت الدولة الإسلامية بالاستيلاء على استراخان عام (١٥٥٦م) على يد جيش القيصر الروسي " إيفان الرهيب" إلا

أن هذا الجيش ورغم كثرته العددية وتسليحه الجيد لم يتمكن من السيطرة الكاملة على شمال القفقاس خلال القرن الـ (١٧) واستمرت روسيا في حروب طاحنة مع أهالي القفقاس والقرم والأتراك وحالت هذه المقاومة دون توغل القوات الروسية إلى هذه المناطق.

ويلاحظ أن هذه الفترة من (١٦٠٤) وحتى (١٧٨٣م) اتسمت بحالة من الهدوء النسبي بين الروس وأهالي القفقاس المسلمين وكان لذلك أسبابه نظرا لانشغال روسيا بالحروب الأوربية، كما أنهم لم يتمكنوا من مواجهة إيران التي أحكمت سيطرتها على شمال القفقاس[٩].

وعندما كان عام (١٨٨٣م) بدأت روسيا تأخذ مرحلة جديدة من الحرب للاستيلاء على بلاد القفقاس ، واستطاعت السيطرة على إمارة القرم ، وعسق ، ومع أن الروس استطاعوا تحقيق مكاسب من الحرب، إلا أن المقاومة التي واجهتها روسيا في منطقة القفقاس كلفتها الكثير، حيث بدأت حركة الجهاد الإسلامي في شمال القفقاس بقيادة الشيخ منصور وهو أحد الشيشانيين المتصوفين ، وتمكن خلال الفترة من (١٧٨٥ – ١٧٩١م) من توحيد حركة المقاومة في بلاد القفقاس ضد الروس ، حتى استاءت روسيا من مقاومته وقررت القبض عليه باعتباره أنه أحد الذين يثيرون الفتنة والثورة ضد الروس ، وتم سجنه وتوفى في السجن عام (١٧٩٣م) .

وتعاقبت الثورات ضد الروس الواحدة تلو الأخرى، ولكن عبر مجموعات من أتباع الطرق الصوفية كالنقشبندية، والقادرية، وكان أبرز حركات المقاومة ثورات الشيخ شامل (١٧٩٧ – ١٨٧١م) التي استمرت أكثر من (٢٥) عاما، استطاع خلالها أن يوحد صفوف المسلمين في الشيشان ، ثم أعلن استقلال داغستان عن روسيا عام (١٨٣٢م) .

ولما فشلت القوات الروسية من القضاء عليه وهزيمة قواته ، لجؤوا إلى المؤامرات والدسائس داخل صفوفه، إلا أنه كان يفلت في كل مرة ، ويظل في مقاومته رغم الأسلحة البدائية التي تملكها قواته ، من سيوف وعصي ، مقابل السلاح المتطور الذي في أيدي الجيوش الروسية كثيرة العدد.

ونظرا لطول المقاومة ومحاصرة قواته من قبل الجيش الروسي وعدم وصول أية إمدادات إغاثية له، بدأت روسيا تشعر بأنها بالفعل انتصرت على الشيخ شامل ، بل إنها غارت على القلعة – موطن إقامته – والتي كانت تعد مركزا لعملياته العسكرية ضد الروس وهي قلعة (فيدنيو) ولكن لم تتمكن القوات الروسية من القبض عليه، ولجأ إلى الجبال بعد أن تخلى عنه بعض جنود جيشه، و لم يجد الشيخ شامل أمامه إلا الاستسلام بعد أن أتعبه المرض، و لم يعد باستطاعته أن يوحد الصفوف من جديد لمقاومة الروس، وقامت روسيا بنفيه إلى كالوغا، وهي منطقة تقع في جنوب موسكو، وبعد شهور من نفية طلب من القيادة الروسية السماح له بالذهاب للأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، وتم السماح بأداء الفريضة ثم العودة وتوفى عام (١٨٩١م)[١٠] .

ورغم ذلك لم تتوقف حركة المقاومة في شمال القفقاس برحيل الشيخ شامل وبتسريح معظم فصائل جيشه ، وإنما ظهرت الطريقة القادرية لتحمل هى راية المقاومة بعد الشيخ شامل وطريقته النقشبندية ، وقاموا بدور كبير في منع توغل الروس داخل الأراضي الإسلامية ، وأزعجت الطريقة القادرية الروس بعد ثورات الشيخ " كونتا حاجي كاشف" وهو شيشاني الأصل وتمثل الفترة من (١٨٦٢ وحتى ١٨٦٥م) أعنف مرحلة تاريخية في تاريخ المقاومة القادرية[١١] .

ولما لم تتمكن القوات الروسية من إيقاف حركات المقاومة التي يشنها أتباع الشيخ كونتا، قاموا باعتقاله ،فانفجرت المظاهرات ضد الروس للإفراج عنه وحدثت مصادمات عنيفة بين أتباعه والقوات الروسية خلفت وراءها عددا كبيرا من القتلى والمصابين بلغ أكثر من (٢٠٠) قتيل وأكثر من ألفى مصاب في يوم واحد.

وبالقضاء على ثورة الشيخ " كونتا " وجد الروس أمامهم الطريق ممهدا للتوغل في المناطق التي لم يتمكنوا من السيطرة عليها بسبب المقاومة، وسقطت مدينة تركستان وطشقند، إلا أنهم عندما دخلوا بخارى ونظرا لطبيعتها ومكانتها الدينية أعلنوا احترامهم للدين الإسلامي، والمقدسات الإسلامية، وأعفوا المسلمين من الخدمة في الجيش الروسي، وأعفوهم من الضرائب المفروضة لمدة عام[١٢] .

ولعل روسيا لم تنتهج هذه السياسة و لم تفعل ذلك في بخارى اعتباطا دون أن يكون هناك مغزى من وراء ذلك، لعل أبرزها:

- إن بخاري تتمتع بقدرة عسكرية كبيرة، وأنها بهذه الإمكانات تستطيع المقاومة لسنوات طويلة دون سقوطها ، وتصبح روسيا هي الخاسرة لو أقدمت على شن حرب ضدها .
- أن بخارى تضم عددا كبيرا من الإدارات الدينية ، وأنها تتمتع باحترام ديني وسط مدن آسيا الوسطي وشمال القفقاس ، وبالتالي فإن إثارة العامل الديني من شأنه أن يسبب قلقا للروس ليس في بخارى فحسب، بل في معظم المناطق التي صارت تحت السيطرة الروسية.

تنصير المسلمين فى روسيا :

اتسم موقف الروس إزاء الدين الإسلامي من البداية بعداء واضح وصريح، فهم بمجرد أن سيطروا على قازان واستراخان قاموا بفرض سياسة التنصير على المسلمين بالقوة بداية عام (١٥٥٥م)، واستطاعت هذه الحملات أن تحقق نجاحا وإن كان ظاهريا: إلا أن مئات الأسر - تفاديا للإيذاء — أعلنوا نصرانيتهم وإن كان بعضهم احتفظ بإسلامه وكتمه في قلبه لسنوات طويلة وربما مات بعضهم ويعتقد من حولهم بأنهم ماتوا وهم على غير دين الإسلام وربما دفنوا فى مقابر المسيحيين.

وفي عهد القياصرة الثلاثة الأوائل من أسرة "رومانوف" ، لم يهتموا كثيرا بعملية التنصير، وأفسحوا المجال واسعا أمام الجميع في معتقداتهم ، فالكل يعتقد فيما يهواه ويميل إليه قلبه، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا، وعاد بأعنف حالاته في عهد "بطرس الأكبر" ، فأغلقت المدارس والمساجد والكتاتيب، حتى إن الروس استطاعوا فى عهد "بطرس الأكبر " هدم (٤١٧) مسجدا من جملة (٥٣٦) مسجدا كانت في قازان، وأسرعوا في إقامة عشرات الكنائس والمدارس التبشيرية مكانها، وأجبروا أبناء المسلمين على التعليم في هذه المدارس، بل والصلاة في الكنائس الملحقة بها، حتى يترسخ أبناء المسلمين على النصرانية من خلال المقررات الدراسية، وتكليف القساوسة بالتدريس بالمدارس والصلاة بهم في الكنيسة، وإظهار أن الدين المسيحي هو الدين الذي ارتضاه الله لجميع البشر [١٣] .

و لم تكتف الحكومة الروسية بإبادة وتدمير كل مظهر من مظاهر الإسلام في قازان، بل راحت تصادر أموال المسلمين الخاصة وكذلك أوقاف المؤسسات والهيئات الخيرية

التي كانت تتولى جمع الزكاة وتوزيعها على ذوي الحاجة من أبناء المسلمين ، وكان من نتائج هذه المرحلة ارتداد أسر كثيرة عن الإسلام ، ومر المسلمون آنذاك بمحنة شديدة الصعوبة كان لها عواقبها في تاريخ المسلمين في الجمهوريات الروسية ، أعلن أكثر من (٥٠٠) ألف مسلم نصرانيتهم والدخول في المسيحية.

ورغم المعاناة التي صادفها المسلمون في روسيا زمن حكم "بطرس الأكبر" إلا أن "كاترين الثانية" لم تستخدم طابع العنف ضد المسلمين ، ولا حتى سياسة التنصير الإجبارية التي اتبعها "بطرس الأكبر" بل راحت تأخذ سياسة اللين في علاقتها معهم، حتى إن "كاترين الثانية " أعادت فتح المساجد التي كانت مغلقة في العهد السابق، وقامت بإنشاء الإدارات الدينية للمسلمين والتي يتولاها مفتي مسلم يرجع إليه المسلمون في مختلف أمورهم، ورغم أنها كانت تدين بالمسيحية فقد أصدرت قرارا بإغلاق المدارس التي تشجع على تنصير المسلمين بالقوة، ورصدت أموالا ضخمة من ميزانية الإمبراطورية لبناء العديد من المساجد وترميم المنهار منها أو التي أصابها الدمار خلال فترة حكم "بطرس الأكبر"، والملاحظ أن "كاترين الثانية " لم يكن لها غرض واضح من جراء هذه السياسة إلا كسب تعاطف المسلمين من ناحية، واستقرار حكمها دون قلق أو اضطرابات من ناحية أخرى.

أما في عهد " إسكندر الثاني" فقد اختلفت سياسته عن "كاترين الثانية" مع أنه أظهر في بعض جوانبها بعض التعاطف مع المسلمين والعقيدة التي يؤمنون بها، وتبنى نشر الثقافة المسيحية دون عنف أو فرضها بالقوة وعهد في ذلك إلى أحد القساوسة المشهورين ويدعى "نيقولا المنسكي"، في إقامة سلسلة مدارس تكون خاصة بالمسلمين الذين ارتدوا عن الإسلام من التتر، وأن تدرس فيها العلوم باللغة التترية وتهدف إلى إيجاد نخبة مثقفة من المتنصرين من المسلمين وتدريبهم وتأهيلهم لتنصير إخوانهم المسلمين، والقيام بعمليات التبشير في وسط التجمعات الإسلامية في قازان واستراخان والقفقاس[١٤] .

ثورات المسلمين ضد الاحتلال الروسي:

في مطلع القرن العشرين لم يكن حال المسلمين بأفضل من سابقه، وبدأ المسلمون يشعرون في آسيا الوسطي بوطأة الاستعمار الروسي بعد السياسة الروسية الجديدة التي تهدف إلى استيطان الروس بلاد المسلمين، ونشر الثقافة الروسية بالقوة بينهم، إلا أن

هزيمة الروس أمام الجيش الياباني عام (١٩٠٤م) دفعت مسلمى آسيا الوسطي إلى القيام بثورة (١٩٠٥م) ضد حركات الاستيطان الروسي والمستوطنين الروس على حد سواء، إلا أن القوات الروسية استطاعت بعنف إخماد الثورة، وعاد المسلمون ينتظرون الأمل مرة أخرى في الاستقلال والحصول على حريتهم داخل أراضيهم التي اغتصبها منهم المستوطنون الروس (١٥).

وعاقبت الحكومة الروسية المسلمين على تظاهرهم بزيادة معدلات الاستيطان في مناطق المسلمين مع زيادة الترويس بنشر الفكر والثقافة واللغة الروسية بالقوة ، بجانب زيادة الضرائب على المسلمين وحدهم بمقدار الضعف، بل أعلنت الحكومة الروسية - لأول مرة - خضوع المسلمين للخدمة العسكرية مثلهم مثل الروس ، ويكونون هم طليعة الجيش الروسي في الحروب التي تخوضها روسيا مع أعدائها خارج أراضيها.

ومع كل هذا الاضطهاد والشعور بالظلم، لم تمنع هذه السياسة مسلمي آسيا الوسطي والقفقاس من القيام بثورة أخرى ضد القرارات الروسية المتعسفة، ففي عام (١٩١٦م) انطلقت مظاهرة حاشدة من أوزباكستان ثم انتقلت إلى خوقند مرورا بفرغانة وقيرغيزيا وقازان وأوكرانيا، واندفعت روسيا لمواجهة هذا الكم الضخم من المظاهرات فأحرقت المساجد، وبيوت المسلمين، وأطلقت نيران مدفعيتها على كل من تظهر ملامح وجهه بأنه مسلم، وراحوا يغتصبون كل فتاة محجبة، بل قاموا برصد الأطفال وهم خارجون من الكتاتيب وأبادوهم بإطلاق الرصاص عليهم بما فيهم الشيوخ وأئمة المساجد ، وقتل خلال هذة الحملة أكثر من (٥) آلاف مسلم (١٦) .

ونستطيع مما سبق القول : إن المسلمين في آسيا الوسطي والقفقاس والأقليات الإسلامية في روسيا وسيبيريا قد مروا بفترات تاريخية عصيبة ومظلمة ، عاشوا خلالها ثلاث مآسٍ متتالية :

الأولى: وتمتد من القرن (١٦) وحتى قيام الثورة البلشفية في مطلع القرن العشرين، وفي هذه الفترة عانى المسلمون في روسيا خلالها أشد أنواع الاضطهاد والعنف ، واهتمت الحكومة القيصرية بتنصير أبناء المسلمين بالإجبار، وتحويل العديد من المساجد إلى

كنائس، وبعضها الآخر إلى إسطبلات للخيول والماعز والأغنام، هذا بجانب مئات المساجد التي تم هدمها لمحو أية أثر للإسلام من هذه المنطقة[١٧] .

الثانية: وتبدأ من عام (١٩١٧م) وحتى (١٩٨٥م) أي المرحلة التي تقع بين إعلاء الشيوعية وتولي "ميخائيل جورباتشوف" رئاسة الاتحاد السوفيتي ، وتمثل هذه الفترة أقسى الفترات التي مر بها المسلمون في تاريخهم الحديث والمعاصر، فقد تعرضوا لعمليات تصفية وعداء تضافرت فيها الأحقاد الدينية والعرقية القديمة مع الأيديولوجية الشيوعية الإلحادية المعادية للأديان السماوية عموما ، والإسلام على وجه التحديد ، مع أن "ماركس" كان قد أعلن في بداياته كرهه للروس وأسلوب تعاملاتهم مع الأجناس الأخرى ، بل إنه تعاطف مع الدولة العثمانية الإسلامية في حربها مع روسيا.

كما نجح " لينين " في كسب المسلمين إلى جانبه في الفترة من (١٩١٨م – ١٩٢٢م) ، ولم تكن سياسة "لينين" هي التعاطف الصريح مع الإسلام وإنما كان لذلك مغزاه، حيث اتخذهم "لينين" معاونين له على أعدائه من المعارضين لحكم البلاشفة بجانب أن المسلمين كانوا يمثلون قوة لا يستهان بها، وضم المسلمين إلى الجيش الأحمر يزيد من قوته ويضعف من قوات خصمه – الجيش الأبيض – لذلك عاش المسلمون على وعود "لينين" التي لم تتحقق ، ونجحت سياسة "لينين" في إخضاع المسلمين لسلطاته، واستخدامهم ضد أعدائه إلا أن ذلك لم يدم طويلا ، فعندما استقرت الأوضاع للشيوعيين بدؤوا يتجهون إلى تصفية من كان حليفهم بالأمس من المسلمين.

الثالثة: وتمتد من نهاية الثمانينات (بداية البيروستريكا) أو سياسة إعادة البناء التي أعلن عنها "جورباتشوف" وفيها شعر المسلمون –لأول مرة- بزوال الشيوعية التي امتصت دماءهم وأبادت الملايين منهم على مدار سبعين عاما من العنف والاضطهاد والطرد والإبادة، وسمح لهم بممارسة شعائرهم التعبدية، وأعيد بناء المساجد والمدارس الإسلامية وتم ترجمة القرآن الكريم للغة الروسية، وعشرات اللهجات السائدة في آسيا الوسطى وسيبيريا والقفقاس إلا أن هذا الوضع كان يشوبه ما تقوم به روسيا الاتحادية ضد المسلمين في الشيشان وداغستان وأنجوشيا.

وإزاء نمو هذه الصحوة عاد النشاط إلى الطرق الصوفية من جديد والتي لعبت فى السابـــق دورا مهما في مقاومة المستعمر الروسى على مدار زمن بعيد، وساهمت

أنشطتها المختلفة في الحفاظ على الهوية الإسلامية رغم الجهود الشيوعية والتنصيرية التي سبقتها.

وقد كان من الجائز – لروسيا – بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم أن تخطو خطوات ديمقراطية لتلحق بالركب الغربي الذي لم يتأثر بما حدث له من تغيرات ، بل زاد نفوذه ، بيد أن روسيا كما يترجم ذلك الواقع لم تكن بإمكانها أن تخلع عن نفسها عباءة تاريخ طويل من المركزية الشديدة التي مارستها على الأقاليم المجاورة منذ القرن الثالث عشر الميلادي [١٨] .

وعلى هذا ، فإن مركزية الكرملين حكمت توجه روسيا رغم طموحها الديمقراطي – ونظريا – حسب مفاهيم الفيدرالية يحق لأي جمهورية أن تجري استفتاءاً للتصويت على الاستقلال عن الدولة المركزية، وواقعيا – رغم أنف الفيدرالية – فإن ذلك غير ممكن وإلا لصارت الشيشان – الجمهورية الإسلامية التي تجرأت في نوفمبر سنة (١٩٩١م) وأعلنت استقلالها – دولة ذات سيادةوعضو في الأمم المتحدة الآن، ولما خاض "جوهر دودايف" زعيمها الذي أعلن استقلالها حربا عنيفة مع الجيش الروسي لأكثر من خمس سنوات متواصلة، ولما أحرجت روسيا أمام العالم وخاصة وأن الذي يقف في وجه الجيش الروسي الجرار مجموعة من المجاهدين مسلحون بأسلحة بدائية لا ترتقي للمستوى المتقدم الذي تتعامل به القوات الروسية مع الشيشانيين .

وعلى الرغم من كل ما سبق ، ورغم التحديات والصعوبات التي يواجهها الإسلام اليوم فيما يسمى بالحرب على الإرهاب ومن يحاولون هدمه والتشويش عليه، لا يزال يتقدم بخطى سريعة نحو العالمية ، فقديما فرض الروس ثقافتهم ولغتهم وقوانينهم على المسلمين من خلال القبض على زمام السلطة وإدارة الحكم واستخدموا أساليب عنيفة في ذلك إلا أنهم لم يفلحوا في اقتلاع الإسلام من جذوره من نفوس المسلمين الروس، وأن إغلاق المساجد والمدارس الإسلامية والتنصير الإجباري لأبناء المسلمين، والسياسة العنيفة التي كانت تفرضها روسيا وتخلف وراءها الألوف من الضحايا وتشجيع الارتداد عن الإسلام إلا أن كل ذلك لم يغير شيئا من الواقع الحالي في بقاء معالم الإسلام شامخة تطل برأسها في روسيا والدول المجاورة والمآذن يعلوها الآذان والحجاب عاد ليظهر من جديد في الشوارع ،كلها علامات تؤكد أن الإسلام لم يخسر كثيرا

من حملات الاضطهاد والإبادة التي تعرض لها في روسيا على مدار تاريخها الطويل والمديد.

الإسلام السياسي في روسيا :

يلزم بداية أن نميز بين نمطين من الإسلام في الاتحاد السوفيتي القديم، الأول الإسلام الرسمي، والثاني الإسلام غير الرسمي ، فبعد التدمير الذي أحدثته الشيوعية في المنشآت الإسلامية، أقامت موسكو أربعة إدارات دينية رسمية تتولى شؤون المسلمين وتقوم على مصالحهم، ومع أنها كانت مسميات نظرية، واهتمامات لا علاقة لها بالواقع ، إلا أنها كانت خطوة على طريق المصالحة بجانب تحسين صورتها أمام العالم الإسلامي من ناحية وعلاقاتها بالدول العربية التي تتمتع بأغلبية مسلمة في النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية من ناحية أخرى، وهذه الإدارات هي [١٩] :

- **الدائرة الإسلامية لمسلمي روسيا الأوربية وسيبيريا ومركزها أوفا ببلاد البشكير.**
- **الدائرة الإسلامية لمسلمي القفقاس الشمالية وداغستان ومركزها داغستان.**
- **الدائرة الإسلامية لمسلمي آسيا الوسطي وكازاخستان ومركزها طشقند.**
- **الدائرة الإسلامية لمسلمي شرق القفقاس ومركزها باكو بأذربيجان.**

والملاحظ في هذه الإدارات أن عددها بداية لا يتناسب مع التزايد العددي لمسلمي الاتحاد السوفيتي القديم، بجانب أن مهمة هذه المراكز لم يكن الدعوة إلى الإسلام، أو حتى النهوض بها، أو خدمة المسلمين والرد على تساؤلاتهم الفقهية والدينية، بأكثر ما هي محاولة رصد ومتابعة لحركة النمو الإسلامي عبر هذه المنافذ الرسمية، وحتى لا يخرج هذا الدين عن الإطار المحدد له من قبل النظام الشيوعي الذي يؤمن بالإلحاد والكفر ولا يعترف بعقيدة أو بدين.

وبالتالي فإن الدين الإسلامي في تلك الفترة لم يكن إلا طقوسا يؤديها المسلمون سرا وفي الخفاء، ولا يشعر بهم أحد ، لذلك عملت الحكومة الشيوعية على الجانب الآخر على إنقاص تعداد المسلمين ، ومحاولة الحد من النسل وتعدد الزوجات، وإغلاق المدارس الإسلامية، وإلغاء العمل بأحكام الشريعة الإسلامية الأمر الذي جعل من إقامة الشيوعية لهذه الإدارات حبرا على ورق وتحسين صورة روسيا أمام العالم الخارجي

خاصة العالم الإسلامى الذي دخل مع الروس في معاهدات وتحالفات عسكرية، وإبعاد تهمة الاضطهاد الدينى عن ساحتها [٢٠] .

أما الإسلام غير الرسمي فهو يضم كل الأنشطة والممارسات الدينية التي تؤدى عبر الجمعيات والمنظمات والهيئات غير الحكومية أو التي توجد خارج الإدارات الأربع السابق ذكرها ، والتي أحيانا تكون السلطة والنظام السياسي السائد على علم بنشاطها، أو العكس ، وفي كل الأحوال تقوم هذه الهيئات الإسلامية على رعاية أبناء المسلمين من خلال المحافظة على الصلوات في الجماعة، وتدريس العلوم الإسلامية، وممارسة الأنشطة الاجتماعية ولكن في إطار شرعي لا يخالف الدين الإسلامي، كما تقوم هذه الجمعيات بدور مهم في كفالة اليتيم وجمع الزكاة وإقامة المدارس ، وعقد الأفراح الإسلامية ، ودفن الموتى بالطريقة الشرعية، بجانب المساعدة فى إتمام إجراءات الزواج ، وأعمال الختان، وتسهيل إجراءات أداء فريضة الحج والعمرة إلى مكة والمدينة.

تيارات الإسلام السياسي في الجمهوريات الروسية:

الثابت أن الإسلام لم يكن في روسيا مجرد دين للمسلمين الروس فحسب بل دين يدين به الأغلبية هناك، وكان يمثل كيانا تاريخيا وثقافيا واجتماعيا مهما، وله جذوره في الشخصية الروسية بغض النظر عن قوميتها وعرقيتها ودينها الذي تدين به لذلك كان هناك تيارات عديدة كشفت عن نفسها في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي القديم، كان أبرزها ثلاث تيارات هى [٢١] :

أولا: التيار الديني:

يذكر أنه فى عقب تفكك الاتحاد السوفييتي ظهرت دول إسلامية تطالب بالانفصال عن الاتحاد، وتطالب بهويتها التي حرمت منها لعشرات السنوات على أيدي الإمبراطورية الروسية تارة، والاتحاد السوفييتي الشيوعي تارة أخرى، إلا أنه وعلى ما يبدو أن هذه التغيرات التي شهدتها منطقة آسيا الوسطي وشمال القفقاس لم تأت بجديد بالنسبة لمستقبل الإسلام في دول الاتحاد السوفييتي القديم ، في ظل تسابق العديد من الدول العربية منها والأوربية البعيدة عن تخوم المنطقة والملاصقة لها، مثل : تركيا، وإيران، والسعودية، وأمريكا، وألمانيا، وفرنسا، والكويت، والإمارات، ومصر، والصين، والهند .

وسعت كل هذه الدول على اختلاف درجات اهتمامها بدول آسيا الوسطي بإقامة علاقات اقتصادية ، وسياسية ، واجتماعية معها، إلا أن هذه العلاقات لم تستمر طويلا، وبعضها لم يحقق نجاحا من البداية، فإيران على سبيل المثال : مع أنها كانت أسرع الدول الإسلامية في دخول المنطقة بمجرد سقوط الاتحاد السوفيتي بحكم تجاورها مع هذه الدول من ناحية، وسيادة المذهب الشيعي في بعض المناطق والجمهوريات من ناحية أخرى، إلا أنها وجدت منافسا يحمل مذهبا معاديا لها قد سبقها، وهي تركيا التي تتبنى المذهب السني الذي يتمتع بالأغلبية في الجمهوريات الروسية.

ورغم ذلك فقد وجدت تركيا نفسها تعقد صفقات وعلاقات مع أذربيجان على الرغم من أنها تتبنى المذهب الشيعي ، وتركيا ذات المذهب السني، وفضلت أذربيجان أن تقيم علاقات سياسية واقتصادية مع تركيا عن إيران، بينما هرولت أوزباكستان ذات المذهب السني تجاه إيران ذات المذهب الشيعي لإقامة علاقات سياسية واقتصادية معها، وهذا ما دفع هاتين الدولتين إلى إعادة حساباتهما من جديد حول هذه المنطقة، هذا في الوقت الذي حاولت فيه الصين وروسيا منع أي توغل أمريكي أو بريطاني في المنطقة، إلا أن الولايات المتحدة استطاعت في إطار حملتها العالمية على الإرهاب في أفغانستان أن توجد لنفسها كيانا إستراتيجيا مهما على بحر قزوين، لم يكن يخطر ببال روسيا أو الصين .

أما السعودية ومع أن معظم مسلمي آسيا الوسطى والقفقاس وسيبيريا من المسلمين السنة،كما في كازاخستان،وأوزباكستان،وقيرغيزستان،وطاجيكستان، وتركمانستان ، إلا أن السعودية عندما تدخلت في المنطقة اعتمدت على تدعيم وتقوية الجانب الروحي لدى مسلمي الاتحاد السوفيتي القديم، فقامت بإرسال ملايين النسخ من المصاحف والكتب الإسلامية عبر شركة الخطوط الجوية السعودية، ولم تهتم على ما يبدو بالتنمية الاقتصادية لهذه الجمهوريات، بل إنها أقامت حاجزا معنويا بين السنة والشيعة عند إقامة المساجد، والمدارس الإسلامية هناك.

وقد فوجئ الرئيس "إسلام كريموف" رئيس جمهورية أوزبكستان أثناء زيارته للمملكة العربية السعودية، بأن المسؤولين السعوديين يحملونه مجموعة ضخمة من المصاحف والكتب الدينية ، مع أنه تناقش معهم في عقد صفقات تجارية وصناعية بين

البلدين، وخاصة في مجال النفط في بلاده وتمويل عدد من المشروعات الحيوية في أوزبكستان، و لم تهتم السعودية بهذه الاقتراحات واكتفت بالمصاحف، وبالتالي لم يكن مستغربا عندما زار رجال الأعمال السعـــوديين أوزبكستان كان شغلهم الشاغل سرعة إقامة عدد كبير من المساجد للمسلمين هناك بشرط أن تقوم السعودية بتعيين أئمة ومشايخ هذه المساجد، وردت حكومة أوزبكستان التي تنتهج السياسة الشيوعية القديمة برفض الفكرة على اعتبار أن بناء المساجد ليس من أولوياتها الاقتصادية [٢٢] .

أما تركيا فهي تؤدي دورا مهما في هذه الجمهوريات ، وذلك نظرا لكون هذه الجمهوريات تتحدث اللغة التركية، ولكن على ما يبدو أن تركيا أصبحت مؤخرا تمثل النموذج الذي يعجب الولايات المتحدة الأمريكية وتطالب كلاً من مصر والسعودية والمغرب والجزائر بانتهاج نفس الأسلوب التركي، كما أن تركيا المدفوعة غربيا تريد أن تكون الدولة الأولى ذات النفوذ في هذه المنطقة، وبالتالي عندما كان وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (جيمس بيكر) في زيارة لآسيا الوسطى حث قادة هذه الدول بأن ينتهجوا سياسة تركيا الداخلية والخارجية [٢٣] .

ثانيا: التيار القومي:

وقد كان لطبيعة التركيبة العرقية والإثنية تأثيرها الواضح في ظهور القوميات المختلفة في النظام الشيوعي، وأدى تعدد اللغات إلى تعدد التفرعات العرقية، حيث شجعت الحكومة الروسية كل كيان عرقي على الظهور والإعلان عن نفسه، إلا أنهم جعلوا من اللغة الروسية اللغة الرسمية للبلاد، واستبدلوا الحروف العربية التي كانت سائدة في العديد من المناطق الروسية قبل عام (١٩٢٩م) بحروف روسية معقدة، تسببت في أزمة حالية بعد انفصال دول الاتحاد، ورغبة كل قومية في التعبير عن ذاتها بلغتها، وثقافتها، وقوميتها، وعقيدتها.

فالتيار القومي لم يكن من حقه الإعلان عن نفسه قبل سقوط الاتحاد السوفيتي القديم، في ظل الهيمنة الروسية التي كانت تسيطر على جميع شؤون الاتحاد وجمهورياته، واستطاعت تركيا بحكم علاقاتها مع أبناء قوميتها بدول الاتحاد السوفيتي السابق من توفير الدعم اللازم لاستعادة هذه الهوية من جديد ، فالدستور القومي واعتزاز الفرد بقوميته

ليس معناه الجور على حقوق القوميات الأخرى ، لمجرد أنها تنتمي لقومية مختلفة أو ثقافة مختلفة أو دين ليس هو الدين الذي يدين به الأغلبية.

ثالثا: التيار الليبرالي:

وهو التيار الذي يؤمن بالحرية والديمقراطية وسيادة القانون والدستور، والبرلمان والتصويت، وتعدد الأحزاب، ويؤمن بالنظام العالمي الجديد، وهو الاتجاه الذي صارت عليه كل شعوب جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق تقريبا.

لذلك عندما حصلت الجمهوريات الإسلامية على استقلالها انتقل المسلمون هناك إلى وضع جديد، وكونوا أحزابا وحركات إسلامية تسعى إلى تطبيق أحكام الإسلام، أو تطبيق الشريعة الإسلامية، وأمام هذه الصحوة لم يجد قادة هذه الجمهوريات إلا العمل على تحقيق ما يطالب به غالبية سكان البلاد، فاعترفت حكومة تركمانستان رسميا بجمعية المسلمين في تركمانستان، كهيئة سياسية إسلامية هدفها الدعوة وإرشاد المسلمين إلى الطريق القويم، كما برزت حركات إسلامية انتشرت فى جمهورية طاجيكستان من خلال امتداد حزب النهضة الإسلامية الأوزباكستانى ويضم هذا الحزب أعضاء نشطين في كل الجمهوريات الروسية تقريبا ويدعو الحزب إلى إزالة كل آثار الشيوعية القديمة، وإعادة الثقافة الإسلامية والالتزام بالدين الإسلامي، ومحاربة كل مظاهر الفساد داخل البلاد مثل: الخمور،وتعاطي المخدرات والتدخين،وممارسة الرذيلة،والرشوة والاختلاس ، ويطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية على المسلم الذي يخالف تعاليم الإسلام ويتعدى حدود الله.

ومع أن نظرة الغرب لحزب النهضة الإسلامية كانت معتدلة قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) إلا أنها تغيرت تماما، واعتبرت الصحف والمجلات الأمريكية حزب النهضة ضمن الأحزاب والجماعات الإرهابية المتطرفة التي تتلقى دعما وتمويلا من السعودي " أسامة بن لادن" ، وبالتالى لابد من محاصرته والقبض على العناصر النشطة في هذا التنظيم، بل إن روسيا أعلنت رسميا بأن حزب النهضة الإسلامية حزب متطرف ويجب تصفيته من طاجيكستان وأوزباكستان لخطورته على الجمهوريات الروسية عامة ، ولكن وجهة النظر الأمريكية كانت أكثر وعيا في ذلك فهي تدرك بالفعل أن حزب النهضة من الأحزاب ذات التأثير الديني القوى في الجمهوريات الروسية ، وأن الحزب يتم إدارته بصورة أو بأخرى من أوزباكستان، وبالتالي كان عليها وهى تسعى لشن حرب

على أفغانستان ثم العراق بعد ذلك أن تكثف من علاقاتها مع أوزبكستان، وتعقد في إطار ذلك العديد من الصفقات العسكرية منها والاقتصادية ، وألا تندفع وراء هذه العواطف وبالتالى أحسنت إدارة المعركة مع التيارات الإسلامية المعادية لها في منطقة آسيا الوسطى وشمال القفقاس بحكمة وذكاء.

obeikandl.com

آسيا الوسطى وشمال القفقاس
بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) لتلقي بتداعياتها على منطقة آسيا الوسطى وبلاد القفقاس وبلاد ما وراء النهر، من منطلق أن أفغانستان تمثل أحد محاور الشر التي أعلنت عنها الولايات المتحدة في أعقاب التفجيرات الأخيرة، بالإضافة إلى كون حكومة طالبان وتنظيم القاعدة يؤديان نشاطاً ملحوظاً في هذه المنطقة، وهم نشطاء تلقوا دعما وتمويلا من تنظيم القاعدة ويدينون لها بالولاء، ويؤمنون بفكرها –الإرهابي– كما أعلن البيت الأبيض والرئيس الأمريكي نفسه في التصريحات التي سبقت الحرب على أفغانستان .

وجاءت هذه الأحداث لتعبئ كلا من روسيا ودول آسيا الوسطى القفقاس في الحملة الأمريكية ضمن ما يعرف بالإرهاب بدرجة أو بأخرى، وزيادة نسبة القلق نظرا للامتداد الاثني والعرقي بين سكان هذه المنطقة، الأمر الذي يصعب فصله، وتقييم الوضع هناك بصورة جيدة.

كما لم يكن تدخل الولايات المتحدة في منطقة ما وراء النهر وبحر قزوين بدايته قرار إعلان الحرب على الإرهاب ، بل جاءت الولايات المتحدة للمنطقة بمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم ، وتلعب العوامل الخارجية دورا رئيسيا في ترتيب الأولويات المختلفة في آسيا الوسطى ، حيث تعد منطقة جذب للعديد من الدول الخارجية والمحيطة، منها ما هو مباشر بحكم التجاور المكاني الحدودي كالصين وروسيا كأصحاب نفوذ، ثم إيران وتركيا باعتبارهما قوتين فاعلتين ، بجانب الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلنطي باعتبارهما قوتين مهمتهما حفظ السلام والأمن في العالم.

ولكن يظل السؤال مطروحا حتى الآن: لماذا جاءت الولايات المتحدة لمنطقة آسيا الوسطى وبحر قزوين ؟ وما تأثير ذلك على وضع المسلمين في الجمهوريات الإسلامية الروسية في أعقاب (١١ سبتمبر) والحرب على الإرهاب ؟ ويمكن إيجاز الدور الفعلي للولايات المتحدة في الجمهوريات الإسلامية الروسية من خلال عدد من الأدوار:

١- دور تنافسي في الفضاء الجيوإستراتيجي والجيواقتصادي.

٢- دور تحجيمي في الفضاء الخاص بروسيا وإيران.

٣- دور أمني بتأمين السلاح النووي في كازاخستان ومنع تصديره لإيران.

وقد أعطت الحملة الأمريكية على الإرهاب الولايات المتحدة فرصة التدخل المباشر في منطقة الجمهوريات الروسية وبحر قزوين من خلال الحصول على تسهيلات أمنية ودفاعية لصالح عملياتها ضد الإرهاب وحصلت من أوزبكستان على تسهيلات لعملياتها في أفغانستان ، كما فتحت طاجيكستان مجالها الجوي للطائرات الأمريكية لتزويدها بالوقود اللازم أثناء فترة التدريب والحرب على طالبان، هذا بجانب حصول بعض الشركات الأمريكية على حق استخراج النفط والغاز مثل شركة (أيموكو) وشركة (Aioc) و (shoh denez) في كل من أذربيجان وتركمانستان فضلا عن رغبتها السابقة في محاصرة إيران أحد محاور الشر في القائمة الأمريكية وللدول التي ترعى الإرهاب في العالم ، مع منح تركيا دورا مهما في المنطقة باعتبارها الدولة الإسلامية الحليفة التي تدخل مع الولايات المتحدة في معاهدات وصفقات في مختلف المجالات ، وتمثل من وجهة نظر الولايات المتحدة الإسلام المعتدل الذي تطالب به دول منطقة آسيا الوسطى ، بل وتطالب به أيضا الدول العربية والإسلامية.

أما الدول الطامحة في أن تلعب دورا في منطقة آسيا الوسطى والقفقاس وبلاد ما وراء النهر فقد أفشل مخططاتها التدخل الأمريكي في المنطقة في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م).فالصين تشترك مع جمهوريات آسيا الوسطى والقفقاس في الحدود والامتداد العرقي والاثني عبر إقليم تركستان الشرقية ذات الأغلبية المسلمة والواقع تحت السيادة الصينية وينتمي مسلمو الصين إلى " الإيغور " التي لها أصول وجذور في معظم الدول الإسلامية الروسية، وأن تنامي ظاهرة الإسلام السياسي في أوزبكستان وطاجيكستان من شأنه أن يثير العديد من القلاقل داخل إقليم تركستان الشرقية للحكومة الصينية، وإن كانت الصين تشعر بنوع من الارتياح إزاء تزايد النشاط الاقتصادي بين إقليم تركستان الشرقية والجمهوريات الروسية، وترى الصين في هذه الجمهوريات منفذا لتصريف منتجاتها، والحيلولة دون استحواذ الولايات المتحدة على خيرات هذه المنطقة، وخاصة في مجالي النفط والغاز، إلا أن الوضع الحالي في المنطقة قد يتم إعادة تشكيله، وخاصة بعد استقرار الولايات المتحدة في المنطقة

والقضاء على الكابوس الذي كان يؤرقها ، وهو حركة طالبان وتنظيم القاعدة والنظام البعثى الحاكم في العراق منذ عشرات السنين.

أما إيران فلها إرث ثقافي وحضاري في المنطقة خاصة في أذربيجان وطاجيكستان وكازاخستان، كما أن اللغة الطاجيكية هي في الأصل لغة فارسية، واستطاعت إيران أن تنشر المذهب الشيعي في معظم الجمهوريات الروسية، وأقامت في هذه البلدان في فترة روسيا القيصرية وروسيا الشيوعية العديد من المشاريع الدينية من مدارس ومساجد، وكتاتيب، ومحلات تجارية، ولم يكن هذا النشاط يأخذ الطابع العلني، بل كان سرا، ولكن وعقب الانهيار الروسي في عام (١٩٩١م) وجدت إيران في هذه الجمهوريات فرصتها في التدخل الاقتصادي تعويضا عن فشلها في تحقيق أحلامها السابقة في منطقة الخليج في ظل وجود الولايات المتحدة بالمنطقة.

وقد تمحور الجانب الاقتصادي الإيراني في استغلال الموارد الطبيعية وخطوط نقل النفط والغاز وخطوط النقل البري ، حيث استطاعت إيران ربط شبكة السكة الحديد إلى آسيا الوسطى بشبكتها عبر تركمانستان . وتستهدف إيران من وراء إقامة هذه المشروعات تحقيق ما يعرف بمشروع خراسان ، وهو نفس المشروع الذي كانت تنوي إيران إقامته في الخليج العربي، إلا أن الولايات المتحدة أسرعت إلى المنطقة الجديدة وتمكنت من إفشال المشروع الإيراني المقترح، ليكون المشروع الثاني التي ترصده الولايات المتحدة وتقضىعليه وهو في المهد، كما استطاعت الولايات المتحدة عندما عزمت إيران على تطوير برنامجها النووي من خلال الاحتياطي السوفيتي الضخم الذي تركه السوفييت في العديد من الجمهوريات الإسلامية الروسية مثل كازاخستان أسرعت بعقد صفقات تجارية وعسكرية مع جمهورية كازاخستان استهدفت الاتفاقية حظر بيع أو تصدير أسلحة الدمار الشامل وخاصة لإيران والعراق.

أما تركيا فهي مازالت دولة تتمتع بأغلبية مسلمة وكانت هي دولة الخلافة الإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى ولأنها هي الحليف الوفي لأوربا والولايات المتحدة الأمريكية، فالسكان الذين يقطنون الجمهوريات الروسية جميعهم من الأصل التركي وتلعب تركيا داخل هذه الجمهوريات دورا ثقافيا وحضاريا متميزا حيث تمثل تركيا نموذجا للإسلام المعتدل، أو الطبيعي مقابل الإسلام السياسي الذي بدأ يتسرب لهذه المناطق عبر حدود هذه الدول مع إيران وأفغانستان، بيد أن تأثير تنظيم القاعدة وحكومة طالبان ما يزال

موجودا على الرغم من زوال رموزه وذلك من خلال أحزاب سياسية دينية ، بدأت تطل برأسها في طاجيكستان وأوزبكستان.

وتركيا هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي ضمن حلف الناتو أو حلف الأطلسي، وقد عرضت تركيا على قادة الجمهوريات الروسية تدريب بعض الضباط داخل أكاديمياتها، إلا أن تركيا ما تزال تتجه ناحية الاستفادة الاقتصادية من المنطقة وخاصة في مجال نقل النفط والغاز التركماني والكازاخي والأذربيجاني عبر أراضيها، وتوجت هذه العلاقات باتفاقية (باكو – سيحال) وهي تنص على نقل النفط الأذربيجاني عبر أراضيها نظير حصتها من كل هذه الصفقات.

وأخيرا نستطيع القول: إن الولايات المتحدة وفي أعقاب تبنيها الحرب على الإرهاب استطاعت أن توجد لنفسها نفوذا قويا في منطقة آسيا الوسطى وبحر قزوين، وتأمين هذه المنطقة من الدول ذات الطموحات النووية العالية مثل إيران وسوريا وليبيا وحزب الله في لبنان والصين وروسيا إذ إنها لا تخشى من حليفتها – تركيا – بل إنها تحث العديد من الدول الإسلامية انتهاج الأسلوب التركي في التعامل مع الإسلام، والعقيدة الإسلامية، وبدأت الولايات المتحدة تقويض نفوذ الجماعات الإسلامية بالجمهوريات الإسلامية الروسية من ناحية ، وتهديد الدول المتهمة برعاية الإرهاب كإيران وأفغانستان والعراق من ناحية أخرى، لذلك فهي تتعامل مع المنطقة بدافع اقتصادي والاستفادة من هذه المنطقة وزيادة احتياطيها على المدى البعيد من النفط والغاز ، بجانب أنها تريد أن تشكل إسلاما جديدا خالياً من العنف والإرهاب عبر مطاردتها لتنظيم القاعدة وحكومة طالبان، وفدائيّ صدام، وغيرهم، وبالتالي فقد كان لذلك انعكاسه الواضح على وضع المسلمين في هذه المنطقة حيث إنهم مطالبون بالدفاع عن الإسلام وتبرئة ذمتهم من الإرهاب لمجرد أن بعض الأفراد من أبناء الإسلام متهمون بتدمير مركز التجارة العالمي في واشنطن، ومقر البنتاجون ، ومن قبلهما تدمير السفارتين الأمريكيتين فى نيروبي ودار السلام، والخبر بالسعودية والمدمرة كول باليمن .

الجمهوريات الإسلامية الروسية

قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الثابت تاريخيا أن دخول الإسلام جمهوريات آسيا الوسطى أو بلاد ما وراء النهر وشمال القفقاس جاء على فترات ومراحل تاريخية متباعدة من فتح بخارى عام (٥٥هـ) .

واستمرت الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية حتى جاء " قتيبة بن مسلم الباهلى " الذي يعتبر الفاتح الحقيقي لهذه المنطقة ، ووطد الإسلام فيها عام (٨٨هـ) ثم واصل فتوحاته حتى الصين ، ودفع له إمبراطور الصين الجزية ثم فتح كاشغر ، وأقام للإسلام كياناً في آسيا الوسطي :

" أوزبكستان، طاجيكستان ، كازاخستان ، قيرغيزستان ، تركمانستان ، وأذربيجان".

وتسمى هذه المنطقة بتركستان الغربية على العكس من تركستان الشرقية التي تقع في الأراضي الصينية وتعرف بـ "سنكينانج " .

وبلاد التركستان عموماً (شرقية – غربية) هي موطن الترك ، كما أن معظم مسلمي هذه المنطقة من أتباع المذهب السني ، ولا يزيد عدد المسلمين الشيعة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق عن (٤) ملايين شيعى من (٧٠) مليوناً على المذهب السني (حنفي – شافعي) ، وحوالي (١٠٠) ألف تابعين للطائفة الإسماعيلية يعيشون في منطقة " البامير " ولهم امتداد في الهند باعتبارهم من أتباع " الأغاخان " .

لذلك سعت روسيا من البداية إلى إثارة النعرة القومية لدى هذه الجماعات في محاولة لإبعاد الهوية الدينية عن الأجناس والأعراق التي آمنت بالإسلام واتخذته ديناً وعقيدة لها [٢٤] .

ولكن السؤال : هل أثرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة على وضع مسلمي آسيا الوسطى وشمال القفقاس ؟

الجدول التالي يوضح تعداد مسلمي الجمهوريات الإسلامية[٢٥]

الدولة	القوميات	العدد	المذهب
كازاخستان	٤٠% كازاخ، ٣٨% روس، ٦% ألمان، ٤% أوكران .	١٩,٥٠٠٠٠٠	سنة
أوزبكستان	٧١% أوزبك ، ٨% روس ، ٥% طاجيك ، ٤% كازاخ .	٢٧,٥٠٠٠٠٠	سنة
قيزغيرستان	٥٢ % قيرغيير، ٢٢% روس ، ١٣% أوزبك، ٣% أوكران .	٥,٥٠٠٠٠٠	سنة
طاجيكستان	٦٢% طاجيك، ٢٤% أوزبك، ٨% روس، ١٠% كازاخ .	٧,٠٠٠٠٠٠	سنة
تركمانستان	٧٢ % تركمان ، ١٠% روس ، ٩% أوزبك، ٣% كازاخ.	٤,٥٠٠٠٠٠	سنة
أذربيجان	٨٣% أذر ، ٦% روس ، ٦% أرمن .	٨,٥٠٠٠٠٠	سنة
الإجمالى		٧٢,٥٠٠٠٠٠	سنة

ووفق الجدول السابق يتضح أن حجم المسلمين فى آسيا الوسطى الإسلامية (٦ جمهوريات فقط) يصل وفق إحصائيات عام (٢٠٠٠م) حوالي (٧٢,٥) مليون مسلم بخلاف جمهوريات شمال القفقاس ذات الأغلبية المسلمة كالشيشان الذي يصل فيها تعداد المسلمين إلى ثلاثة ملايين مسلم، وكذلك توجد أقليات مسلمة في كل من داغستان، وروسيا وجورجيا ، وأرمينيا ، وأوستيا ، ودول البلطيق ، وحول سهول سيبيريا تزيد فى مجملها عن عشرة ملايين مسلم ، بجانب إقليم أبخازيا ذات الأغلبية المسلمة داخل

obeikandl.com

الأراضي الجورجية، أما عن وضع المسلمين في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي القديم فهو كالتالي :

١- جمهورية كازاخستان :

تعد جمهورية كازاخستان من أكبر الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطي من حيث المساحة التي تحتلها،والتي تبلغ حوالي ٢,١٧١,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً ، وبالتالي فهي تعد ثاني جمهورية من حيث المساحة بعد روسيا زمن الاتحاد السوفيتي القديم.

وتحتل كازاخستان موقعا إستراتيجيا مهماً في المنطقة، وتحدها الصين من الشرق، وبحر قزوين من الغرب، وأوزبكستان وتركمانستان، وقيزغيزستان من الجنوب، وسيبيريا من الشمال وتمتد جذور سكانها إلى تركستان الشرقية الواقعة داخل الأراضي الصينية وتمثل أغلبية مسلمة من خلال مسلمي الإيغور، كما أنها تعد أولى دول العالم إنتاجاً لمعدن الكروم ، وتحتل الترتيب الثالث في الجمهوريات الروسية إنتاجاً للنفط والفحم.

وكازاخستان إحدى الجمهوريات السوفيتية النووية الأربع، ومن أراضيها كانت تطلق سفن الفضاء من مركز" بايكونور " للعلوم الفضائية، بجانب امتلاكها لأكثر من (٥٠٠) رأسٍ نووية و(٢٠٠٠) رأسٍ تكتيكية ، وكانت أراضيها من أهم المناطق التي أجريت فيها التجارب النووية السوفيتية مما أثر على المدى البعيد في البيئة هناك، وعلى السكان الذين قطنوا هذه المنطقة آنذاك، بعدما أقرت اتفاقية " إستارت " عام (١٩٩٢م) ضرورة التخلص من (٢٥٠٠) صاروخ نووي بعيد المدى كانت داخل المخازن الروسية في كازاخستان، حيث تم تفجيرها بالكامل، في حضور لجان من هيئة الطاقة الذرية الدولية[٢٦] .

٢- جمهورية أوزبكستان :

يعود الشعب الأوزبكى إلى الأتراك، وكان أفضل ما يتميزون به تمسكهم بالعادات والتقاليد الإسلامية، فالأوزبك من مجموعة الشعوب التركستانية المنتشرة فى آسيا الوسطى ، كما يتواجدون في أفغانستان وإيران، والصين ومنغوليا وتركمانستان وقيرغيزستان وطاجيكستان، وجاءت عائلات منهم إلى مصر، وأقاموا في منطقة سميت على قوميتهم وهى : " حي الأزبكية " أحد أحياء القاهرة العريقة.

وتقع أوزبكستان إلى الشرق من تركمانستان بين نهرى سيحون وجيحون وتتصل حدودها الجنوبية مع جمهورية أفغانستان، وأهلها من الأوزبك وعاصمتهم طشقند وفيها أيضاً بخاري التي ينسب إليها العديد من علماء التفسير والحديث النبوي والفقه الإسلامي، وكذلك سمرقند التي كانت في الماضي قلعة للعلوم والثقافة لمنطقة آسيا الوسطى وبلاد القفقاس وسهول سيبيريا.

وأوزبكستان من أكثر الدول تربية للأغنام، كما تضم بجانب النشاط الرعوي النفط، ويمثل احتياطيها من النفط نسبة كبيرة، وكذلك يتزايد إنتاجها من الغاز الطبيعي عاماً بعد الآخر، ويبلغ عدد سكانها وفق إحصائية عام (٢٠٠٠م) حوالي ٣٠ مليون نسمة ومعظمهم من الأوزبك ، ويقوم حزب النهضة الإسلامي بدور مهم في مقاومة التيار العلماني المتمثل في الحكومة ورئيس الدولة، وقد أعلن الحزب عن مبادئه في بيان أصدره في ٩ سبتمبر (١٩٩١م) ، واعترفت به الحكومة بموجب قانون الأحزاب باعتباره حزبا سياسياً ذا توجهات إسلامية ، ويستمد برنامجه وأهدافه من مصادر الشريعة الإسلامية.

وأدى التباين في الأيديولوجات بين الحكومة وحزب النهضة الإسلامي إلى مصادمات عنيفة خلفت وراءها حروباً أهلية عديدة ، أصابت دول المنطقة بالقلق، خاصة وأن هذه البلدان تضم عناصر من حزب النهضة ذى الأصول الإسلامية المتشددة وسعيا لتهدئة الوضع داخل الدولة اتفقت الحكومة مع قادة الحزب على عقد معاهدة صلح عام (١٩٩٧م) ، بموجبها تقوم الحكومة بالإفراج عن المعتقلين السياسيين والإسلاميين، وأعلن قادة الحزب عن انضمام بعض عناصره إلى القوات المسلحة الأوزبكية [٢٧] .

وعندما أيدت الحكومة الأوزبكية التدخل الأمريكي في أفغانستان في إطار حملتها ضد الإرهاب في المنطقة، خاصة تنظيم القاعدة وحكومة طالبان الحاكمة في أفغانستان أدركت حكومة أوزبكستان أن الولايات المتحدة تتستر وراء ما يسمى بالحرب على الإرهاب وفى نيتها المصالح الاقتصادية التي تنوي حصادها من كازاخستان وبحر قزوين .

أما على مستوى حزب النهضة الإسلامي فقد أصاب قيادته بعض القلق من جراء اقام منظمات عديدة وأحزاب إسلامية في آسيا الوسطى بأنها تمول من " أسامة بن

لادن " وتنظيم القاعدة، بل وإن هناك بالفعل أحزاباً تم وضعها على قائمة التنظيمات التي يجب تصفيتها ، ولم تدرج الولايات المتحدة حزب النهضة الإسلامي ضمن التنظيمات التي تتبنى الإرهاب، مثل حزب الله مثلاً، وإنما فضلت أن تعقد صفقات من حكومة أوزبكستان في العديد من المجالات الاقتصادية، والعلمية، والعسكرية ، وأنه قد لا تجد صعوبة في القضاء على حزب النهضة الإسلامي إذا ما شعرت بخطورته على حكومة أوزبكستان أو الدول المجاورة.

٣- جمهورية قيرغيزستان :

تقع قيرغيزستان شمال طاجيكستان وتحدها الصين شرقاً وكازاخستان شمالاً وأوزبكستان غرباً، وفتحها " قتيبة بن مسلم الباهلي" عام (٩٤هـ) وسكان قيرغيزيا من أصل تركي، واستطاعت روسيا الشيوعية أن تقلل من تزايد نسبة المسلمين فى المناطق الحضرية فى قيرغيزيا، وقامت بإقامة العديد من المستوطنات للسكان الروس الذين أصبحوا سكاناً أصليين للبلاد، ويبلغ عدد سكان قيرغيزيا حوالي (٥) ملايين نسمة أو يزيد على مساحة ١٨٩,٥٠٠,٠٠٠ كم٢.

وقد فقدت قيرغيزيا معظم أراضيها في آسيا الوسطى مع قدوم الشيوعية التي اجتاحت بلادهم مع مطلع الثورة، وأعطت الأراضي للمستعمرين الروس، الأمر الذي أحدث ثورة عنيفة ضد الروس وخاصة بعد قيام ستالين عام (١٩٢٨م) بمحاولات طرد الأسر المسلمة خارج قيرغيزيا إلى مقاطعة تركستان الشرقية أو سنكنيانج الصينية، أما النخبة الحاكمة فهم من العناصر النشطة في الحزب الشيوعي القديم الذي ما يزال يسيطر على مختلف المقاليد في قيرغيزيا كالصحافة والفن والثقافة والأدب [٢٨] .

٤- جمهورية طاجيكستان:

تقع جمهورية طاجيكستان إلى الشرق والجنوب من أوزبكستان ولها حدود مع الصين وأفغانستان وأهلها من الطاجيك، وهم خليط من الفرس والأتراك ولغتهم تحمل سمات تنوعهم القومي ، وتصل نسبة المسلمين بها حوالي (٩٨%) من (٦,٥) ملايين نسمة وعاصمتها دوشنبة .

ولجمهورية طاجيكستان حدود ممتدة مع أفغانستان وإقليم جامو وكشمير ، وإقليم تركستان الشرقية (سيكنيانج) ويذكر أن طاجيكستان هي التي كانت وراء تفجر المشكلة الإسلامية فى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، وهي التي جذبت انتباه العالم الغربي إلى ما يعرف بالأصولية الإسلامية وذلك عبر الصراع الذي كان بين المسلمين والشيوعيين فى جمهورية طاجكستان غداة الاستقلال الذي فرض على الناس هناك بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم ، وينتمي الطاجيك إلى المذهب السني (الحنفي) وهم يمثلون أكبر تجمع يتبع هذا المذهب فى منطقة وسط آسيا[٢٩] .

لذلك فشلت روسيا فى ترويض الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطي ترويضا كاملا، فرغم كل البرامج التي أجرتها روسيا على طاجيكستان إلا أنهم لا يزالون مسلمين ولديهم شوق تجاه المسلمين فى أفغانستان وأيدوا الحركات الجهادية التي قام بها المسلمون أثناء غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، كما تأثروا بالثورة الإسلامية عام(١٩٧٩م) وحزب النهضة الإسلامية عام (١٩٩٢م) بأوزبكستان [٣٠] .

٥- جمهورية تركمانستان :

تقع جمهورية تركمانستان شرق بحر قزوين، وحدودها مشتركة مع كل من كازاخستان، وأوزبكستان، وأفغانستان وإيران، وعاصمتها عشق أباد، وعدد سكانها حوالي ٧٢% بينما لا يمثل الروس سوى ١٠% ونسبة المسلمين بها ٩٢% من عدد السكان. كما أنها دولة منتجة للبترول والغاز الطبيعي، وأغلب أراضيها صحراوية، إلا أن الأمل يتزايد عند التركمان بشق قناة تربط بين بحر جيحون ببحر قزوين[٣١] .

يتولى رئاسة تركمانستان "مراد نيازوف " منذ عام (١٩٩٢م) وهو أحد أفراد الحزب الشيوعي القديم، ونظراً لعدم وجود أحزاب معارضة، أو جمعيات أو تنظيمات إسلامية – أو سياسية تصبح تركمانستان إحدى أكثر الدول الروسية استقرارا؛ إلا أن الواقع يكاد يختلف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، ويشير إلى قيام الحكومة بالتضييق على حقوق المسلمين الأغلبية، وزادت درجة الاستبداد السياسي من مصادرة الحقوق حتى الدينية، وتحكم تركمانستان بالحديد والنار والمخابرات.

ونظرا لتميز تركمانستان بالمعادن مثل الكبريت والرصاص والكالسيوم واليود والكروم والأملاح المعدنية، فضلاً عن النفط والغاز الطبيعي وزراعة القطن، كانت الولايات المتحدة حريصة على أن تستحوذ شركاتها على حق استخراج النفط في تركمانستان لأطماع اقتصادية من ناحية، ومراقبة المنطقة وتعقب النفوذ الصيني — الروسي من ناحية أخرى (٣٢) .

٦- جمهورية أذربيجان :

تحتل أذربيجان موقعاً مهماً في العالم من الناحية الجغرافية والإستراتيجية معاً، وقد تم تقسيمها بين إيران والسوفيت لظروف سياسية، وهو تقسيم مصطنع وكانت أرمينيا جزءاً منها.

وأذربيجان تشترك مع إيران في الجنوب، وأرمينيا وجورجيا في الغرب، وفى الشرق بحر قزوين وعدد سكانها (١٠,٥) مليون نسمة وحوالي ٨٥% من سكانها مسلمون، يتوزعون بين ٧٥% شيعة و ٢٥% سنة وتقدر مساحتها ٩٤,١٣٧كم^{٢} وتضم داخل حدودها منطقة ناهيجوان ومنطقة ناجورنو كاراباخ المتنازع عليها مع أرمينيا (٣٣) .

وتعيش أذربيجان منذ عام (١٩٩٠م) حالة من القلق وعدم الاستقرار على المستوى الداخلي، وذلك بسبب المواجهات العرقية مع أرمينيا حول إقليم ناجورنو كاراباخ، وأيدت روسيا حق أرمينيا فى الإقليم نظرا للمقاومة العنيفة التي تعرض لها الجيش الروسي عند اقتحامه الأراضي الأذربيجانية عام (١٩٩٨م) ويذكر أن الشيوعيين كانوا يهتمون بتربية الخنازير وخاصة في المناطق ذات التزايد السكاني، وكذلك كان في باكو — العاصمة الأذربيجانية — أضخم (٦) مصانع للخمور في الاتحاد السوفيتي القديم، بجانب أنها كانت الدولة الأولى في الاتحاد تصديراً للعنب.

إلا أن ظهور النفط دفعها للاهتمام بهذه الصناعة، ويمثل احتياطيها من البترول نسبة مرتفعة تصل حسب بعض التقديرات إلى احتياطى العراق ، كما توجد بأذربيجان ثروات طبيعية أخرى مثل الحديد، والنحاس ، والفحم ، والرصاص، وعلى الرغم من أهمية أذربيجان على بحر قزوين إلا أنها تتمسك بأرضها المسلوبة في أرمينيا.

٧- جمهورية داغستان :

تقع جمهورية داغستان بين جبال القفقاس، وبحر قزوين وسكانها جميعاً من المسلمين، ويصل تعداد السكان حوالي المليونين ونصف المليون نسمة، والعاصمة هي مدينة (محج قلعة) ويوجد في داغستان أكبر تجمع تركي في القفقاس بعد الأتراك الأذريين وهم الأتراك القوموق [٣٤] ، ويشكل الداغستانيون (٣٢) جنسية مستقلة على طول الشاطئ الغربي لبحر قزوين وقد سادت اللغة العربية هذه المنطقة، حيث كانت لغتهم تكتب بالحروف العربية قبل الاستعمار الروسي، ثم جرى عليهم ما جرى على غيرهم من مسلمي آسيا الوسطى، وشمال القفقاس وبلاد ما وراء النهر، ومنها خرج "غازي محمد" الذي أعلن الجهاد ضد الروس واتهمهم بالكفر والإلحاد، ومن خلفه جاء "الإمام شامل " وأعلن استقلال داغستان، التي أصبحت دولة حكم ذاتي في يناير (١٩٢١م) .

٨- جمهورية تتارستان :

يمثل التتار أقلية عرقية بارزة فى روسيا بعد الروس فى جمهورية روسيا الاتحادية، وهم سادس مجموعة عرقية في الاتحاد السوفيتي القديم ويوجد ٦٠% منهم في حوض الفولجا، وترجع اللغة التترية إلى اللغة التركية، ويتحدث التتار والبشكير لغات متشابهة وجمهورية تتارستان لا يحق لها الاستقلال الكامل عن روسيا بموجب الدستور السوفيتي وأن حوالي مليون ونصف تترى يعيشون في جمهورية تتارستان ولكن تحت الحكم الذاتي، فقد احتلها" إيفان الرهيب " وطرد منها المسلمين التتار، وحول الروس أكثر من (٧٠٠) مسجد فى المنطقة إلى مرابط للخيول وحظائر للماشية [٣٥] .

٩- جمهورية بشكيرستان:

تقع بشكير جنوب جبال الأورال، ويمثل الأتراك النسبة الغالبة لعدد السكان، الذين يقدرون بـ (٥) ملايين نسمة منهم (٦٥%) مسلمون ، أما لغة الباشكير فهي تختلف عن لغة التتار في النطق وقواعد الكتابة ، وفشلت روسيا في فرض اللغة الروسية بالإجبار على الشعب التترى ويسود المذهب السني في منطقة الباشكير ، وهم جميعاً مسلمون على الطريقة الحنفية واحتلت في أواخر القرن السادس عشر على يد " إيفان الرابع"، الملقب بالرهيب وكانت عاصمتها أونا مركزاً إدارياً لمفتي روسيا [٣٦] .

وتشهد باشكيريا اليوم محاولة جادة نحو استعادة هويتها الإسلامية المفقودة، ولكن يعوزهم الكثير من العوامل العملية والواقعية والعلم بالإسلام.

١٠ – جمهورية القرم:

تشير العديد من المصادر أن جمهورية القرم هم في الأصل من التتار واعتنق أهالي القرم الإسلام فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وتمكنوا من إقامة دولة لهم فيها خلال القرن الـ (١٥) ، ولكن الروس احتلوها وضموها إلى الإمبراطورية الروسية، ثم انتزعها منهم الأتراك العثمانيون، وظلوا فيها حتى مطلع القرن التاسع عشر ثم أجلاهم عنها الروس، ودخلها الشيوعيون بعد الثورة، وانتقموا من أهلها لمقاومتهم الشيوعية وهدموا معظم مؤسساتها الإسلامية.

وفى عام (١٩٢٨) قرر الروس أن يجعلوا من القرم الإسلامية موطناً لليهود الفلاشة [٣٧] ؛ إلا أن الشعب ثار وقاوم رافضاً إجبار المواطنين على الهجرة إلى الجبال، وفتح الاستيطان لليهود في أماكنهم، ولما فشل الروس في إخماد هذه المظاهرات، قامت القوات الروسية باغتيال رئيس القرم وأعضاء حكومته معاً، ونفي (٥٠) ألف مواطن إلى سيبيريا، ومليون ونصف المليون إلى تركيا وأوربا الغربية، وبعضهم ذهب لبلغاريا ورومانياً وأمعنت القوات الشيوعية فى عنفها ضد أهل القرم حتى أن الـ (٥) ملايين نسمة الذين كانوا يشكلون عدد سكان القرم آنذاك لم يعد منهم إلا (مليوناً ونصف مليون فقط) وكان وراء هذا العنف والتشريد وحملات الإبادة اتهام شعب القرم بأنه كان يؤيد ألمانيا فى حربها مع روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية، إلا أنه وفى عام (١٩٦٧م) أعلن مجلس السوفيت الأعلى براءة شعب القرم من التخابر مع ألمانيا ضد روسيا [٣٨] .

كما توجد العديد من الدول التي تقع تحت السيادة الروسية حتى الآن ويمثل المسلمون في بعضها أقلية ، والبعض الآخر أغلبية، ولكن وكما هو ملاحظ على وضع الإسلام في روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بأنه إسلام شكلي بلا روح ، وأن المسلمين في الجمهوريات الإسلامية في حاجة إلى الدعوة من جديد ، والتخلص من ذيول الحزب الشيوعي القديم الذي كان ما يزال يتحكم في مقاليد الأمور لهذه الجمهوريات .

أما الأقليات المسلمة التي ما تزال خاضعة لروسيا في إطار ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي القديم فهي بشكل ملخص كالآتي [٣٩] :

- **بلقاريا**: وهم الجبليون الذين يعيشون في أعالي الجبال في وسط القفقاس، وأجبروا على ترك موطنهم إلى الجبال بعد حملات مطاردة من الجيش الروسي، وتقع هذه الولاية إلى الغرب من أوستيا، وينتمي سكانها إلى الشركس ، وسكانها مسلمون وهم حوالي مليون نسمة، وعاصمتها نلتشيك.
- **قرتشاي**: وتقع هذه الجمهورية غرب بلقاريا ، وسكانها من التتار وتصل نسبة المسلمين فيها حوالي (٨٥٪) وعدد سكانها مليون نسمة .
- **الإديجا** : وتقع هذه الولاية فى الشرق من البحر الأسود ، ويعود سكانها إلى الشركس ، وتبلغ نسبة المسلمين فى الولاية (٨٠٪) من عدد السكان .
- **ماري** : تقع فى شمال تتاريا وتصل نسبة المسلمين هناك (٥٠٪) وعدد سكانها حوالي مليون نسمة وعاصمتها يوشكارأولا .
- **أوستيا الشمالية** : تقع أوستيا إلى الغرب والجنوب من الشيشان والأنجوش وينتمي سكانها إلى الشراكسة، ويمثل المسلمون بداخلها نحو (٥٠٪) من عدد السكان .
- **الجوفاش** : وتقع الجوفاش غرب تتاريا ، وعاصمتها مدينة شيوفساري وتصل نسبة المسلمين بداخلها حوالي (٥٥٪) .
- **أدموت**: وتقع هذه الولاية شمال تتارستان، ويصل عدد سكانها نحو مليون نسمة وعاصمتها أيجفسك .
- **بشكالوف**: تقع جنوب باشكيريا، وتحدها من الجنوب كازاخستان .

هذا بجانب الأقلية المسلمة في دول البلطيق : (ليتوانيا، وأستونيا، لاتفيا، وموالدافيا) . وكذلك موروذوف التي تقع في الجنوب الغربي من الجوفاش وعاصمتها "سارا نسك" وتبلغ نسبة المسلمين بها حوالي (٦٥٪) من مجموع السكان.

وإجمالاً فإن الاتحاد السوفييتي القديم كان يضم دول تركستان الغربية وهي جمهوريات آسيا الوسطي : (كازاخستان، أوزبكستان، تركمانستان، طاجيكستان، قيرغيزستان ، ثم تتارستان ، وباشكيرستان ، وشبه جزيرة القرم) كما يضم دول منطقة القفقاس : (أذربيجان ، جورجيا ، أرمينيا) ودولاً ذات حكم ذاتي مثل أوستيا الشمالية، الشيشان، الأنجوش ، أبخازيا ، أجاريا، داغستان ، بلقاريا ، ناخشيشيفيان ، بجانب مقاطعات حكم ذاتي مثل قرتشاي وكاراباخ ، وأوستيا الجنوبية ، والأديجا ، فضلاً عن روسيا ودول البلطيق (أستونيا ، ليتوانيا ، لاتفيا ، وموالدافيا ، أوكرانيا، وروسيا البيضاء) .

obeikandl.com

قمة شنغهاي والجمهوريات الإسلامية الروسية
بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

في عام (١٩٩٦م) تأسست مجموعة شنغهاي والتي تضم كلاً من الصين وروسيا وطاجيكستان وكازاخستان وقيرغيزستان في العاصمة الطاجيكية دوشنبة، وذلك بهدف إعادة رسم الحدود بينها وبين الصين من ناحية، وبينها وبين الوضع الجديد للاتحاد من ناحية أخرى .

كما استهدفت المجموعة مواجهة الأخطار المشتركة، والتعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء ، وقد انتهت اجتماعات القمة الأولى إلى دعمها للجهود الروسية في حل المسألة الشيشانيـــة وإدانتها للإرهاب ؛ وأعربت المجموعة عن قلقها الشديد من حكومة طالبان- النظام الحاكم في أفغانستان- ومن تحويل السفارة الروسية في كابول إلى سفارة الشيشان الإسلامية، ورفضت طالبان تسليم (٣٠٠) مسلمٍ من الإيغور إلى الصين تحت زعم صيني يقول : بأنهم يمارسون أعمال عنف وتخريباً في إقليم "سنكيانج" أو ما تعرف بتركستان الشرقية ذات الأغلبية المسلمة في نفس الوقت اتهمت كل من أوزبكستان، وقيرغيزستان حكومة طالبان بدعمها المستمر للمعارضة الإسلامية في بلادها[٤٠] .

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، تدخلت روسيا بعنف لإخمـــاد المظاهرات في جمهورية داغستان ذات الحكم الذاتي، حيث فرضت حصـــاراً عليهـــا وقصفت بعض مدنها، وكان من نتائج هذا القصف محو وإبادة بلدة كارامـــاخي مـــن على الخارطة، مما أدى إلى تدخل المقاومة الشيشانية ضد الروس بعد عبور بعض رجالها لمناصرة أبناء عقيدتهم في داغستان مما دفع روسيا إلى مطالبة مجموعة شنغهاي بالحيلولة دون امتداد المقاومة الشيشانية خارج أراضيها، إذ إن معنى ذلك أن روسيا قد تواجـــه نفس المصير مع كل الجمهوريات التي تقع تحت سيادتها بموجب اتفاقية الحكم الـــذاتي لهذه الجمهوريات[٤١].

وعلى ما يبدو أن قمة (شنغهاي) والتي تعقد بشكل سنوي كان من أهـــدافها محاصرة المد الإسلامي في منطقة آسيا الوسطى وشمال القفقاس، وذلك عبر عدد من المحاور أهمها :

أولاً: حرص الصين على محاصرة الإقليم الصيني ذى الأغلبية المسلمة والواقع داخل أراضيها لمنع وصول نداءاته خارج الحدود الصينية، ونظراً لامتداد العنصر الإيغوري الذى يشكل معظم سكان الإقليم داخل جمهوريات آسيا الوسطى ، طالبت الصين من قادة حكومات هذه الجمهوريات تسليمها بعض العناصر الإسلامية النشطة داخل أراضيها، مع منع تسلل أية مجموعات إسلامية إلى إقليم تركستان الشرقية.

ثانياً: تسعى روسيا من خلال هذه المجموعة لتحقيق مؤازرة ومساندة ودعماً لما تقوم به داخل جمهورية الشيشان والأنجوش وداغستان، واعتبار أن ما تقوم به روسيا ضد هذه المجموعات من الأمور الداخلية التي تخص روسيا وحدها .

هذا بجانب أن روسيا سعت لإدراج بعض التنظيمات في الجمهوريات على قائمة الدول التي ترعى الإرهاب بعد فشلها في تحقيق نصر مؤكد على الحركات الجهادية في الشيشان وخاصة بعد عملية المسرح الروسي التي نفذتها بعض الفتيات المسلمات من الشيشان حيث قمن باحتجاز أكثر من ثلثمائة متفرج داخل المسرح ، الأمر الذي أزعج روسيا ومجموعة شنغهاي ، بل وأدركت الولايات المتحدة حقيقة أن تواجدها في المنطقة يقتضي أن تراقب عن كثب نشاط هذه الحركات فى المنطقة حفاظاً على مصالحها فى بحر قزوين .

فى حين كان الهدف غير المعلن لقادة الجمهوريات الروسية الداخلة من الاتفاق : (كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان) استمرار بقائهم فى السلطة مدة أطول[٤٢] فعلى الرغم من أنهم كانوا فى السابق من أنصار الحزب الشيوعي بل من قادة أفرعه ويحكمون شعوباً ذات أغلبية مسلمة يدينون بالمذهب السني، إلا أنهم يشعرون بالقلق من التنامي الإسلامي فى دولهم، وخاصة حزب النهضة الإسلامي الذي أصبح له نشاط في العديد من دول آسيا الوسطى، وأن سياسة الحزب الإسلامي ترفض استمرار الشيوعيين فى حكم بلادهم، فأوزبكستان وهي عضو فى مجموعة شنغهاي تشهد صحوة إسلامية كبرى فى المنطقة بعد طاجيكستان، واستخدمت حكومتها أساليب قمعية لوقف تنامي الصحوة وقمع المعارضة السياسية – الإسلامية، وأصبح المحور الأمني على أولويات اهتمامات المجموعة حيث ركزت جهودها لمحاربة الثلاثي المعارض وهم : " الإرهاب الدولي، التطرف الديني، النزعات الاستقلالية " ويعد الإسلام هو

القاسم المشترك في القضايا الثلاث - وخاصة بعد أحداث التفجيرات الأمريكية الأخيرة .

وأخيراً وكما هو ملاحظ أن روسيا والصين – بغض النظر عن الجمهوريات الإسلامية الداخلة في مجموعة شنغهاي – أعلنتا تعاونهما ومؤازرة كل منهما للأخرى فى محاولة لاستغلال منطقة آسيا الوسطى وشمال القفقاس والاستفادة من مواردها الطبيعية من بترول وغاز طبيعي ومعادن، ومن ثم حرمان الولايات المتحدة من هذه الموارد، فدولة كازاخستان مثلاً متوقع لها أن تصبح في خلال السنوات الخمس القادمة ضمن أكبر خمس دول إنتاجا للبترول في العالم، وجاء الاهتمام بهذه المنطقة بسبب اكتشاف آبار البترول بكثافة حول بحر قزوين، وهو ما دفع روسيا والصين لمحاصرة المنطقة والحيلولة دون تدخل الولايات المتحدة في المنطقة بعد أن تركا لها منطقة الخليج .

إلا أن الولايات المتحدة في إطار حملتها على الإرهاب في العالم، ومحاولة تصفية تنظيم القاعدة في المنطقة وإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان – على بحر قزوين – أفشلت كل المخططات الثنائية التي ظل " بوتين وزيمين " يخططان لها منذ عام (١٩٩٦م) ، وإن كانت الأطماع ممتدة لسنوات سابقة عن هذا التاريخ وتحديداً بمجرد إعلان سقوط الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي القديم .

وجاءت الولايات المتحدة إلى بحر قزوين في إطار حملتها على الإرهاب بطائراتها وقواعدها العسكرية ونفوذها الاقتصادي الذي بدأ في التوغل في المنطقة عبر المعاهدات والاتفاقات مع قادة الجمهوريات الإسلامية منذ عام (١٩٩٢م) ، وبالتالي سيكون لذلك تأثيره السلبي على المصلحة الاقتصادية، سيؤثر ذلك على مستقبل الإسلام فى المنطقة وخاصة وأن الإسلام ما يزال في قفص الاتهام، وكل أتباعه بالأحرى متهمون ؟

هوامش الفصل الخامس

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، (القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٩٠م) ص٥٨٢ .

(٢) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠-٢٤٥ .

(٣) أحمد رائف : الملاحة فى بحار النار الشيشان ، مرجع سابق ، ص١٢٦ .

(٤) المسلمون في روسيا ،(الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٥م) ص ١١.

(٥) سيد حنفي : في قضايا الفكر ومشكلات المسلمين، مرجع سابق ، ص٩١ .

(٦) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية، مرجع سابق ، ص٨٨.

(٧) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ، ص١٤٢ .

(٨) محمد فراج : المسلمون في آسيا الوسطى ، (مستقبل العالم الإسلامى ، العدد الخامس ١٩٩٢م) ص ١٩٣-١٩٥ .

(٩) المسلمون في العالم ، (لندن: جريدة العالم الإسلامى؛ هيرست ١٩٩٢م) ص٣ .

(١٠) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص ١٣٠-١٣٥.

(١١) عاطف عبد الهادى:مسلمو روسيا شكرا،(إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢/٧م) .

(١٢) الإسلام في روسيا،(إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م) .

(١٣) صابر طعيمة: محنة الأقليات المسلمة، مرجع سابق ، ص٩١.

(١٤) محنة الأقليات المسلمة، المرجع السابق ، ص٩٦ .

(١٥) الإسلام في آسيا الوسطى ، (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٣م) ص١١ .

(١٦) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها، مرجع سابق، ص١٠٥ .

(١٧) مصطفى علوى : الأزمة السوفيتية والقوميات ، (بيروت : الفكر الإستراتيجي العربي عدد أبريل ١٩٩٢م) ص٦٣ .

(١٨) عاطف عبد الهادي : مسلمو روسيا شكرا على التجاهل ، (إسلام أون لاين نت سياسة/مقالات/٣٦) .

(١٩) مسلمو روسيا شكرا، مرجع سابق ص١٨ .

(٢٠) صابر طعيمة : محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها، مرجع سابق، ص١٠٥ .

(٢١) إيمان يحيى : انهيار الاتحاد السوفيتي ، (مالطا: مستقبل العالم الإسلامى، العدد الخامس ١٩٩٢م) ص١٢٢ .

(٢٢) رياض الريس : جريدة القدس العربية ، (في٢/١١/١٩٩٢م) ص١٣ .

(٢٣) عاطف عبد الهادي : مسلمو روسيا شكرا، مرجع سابق ،ص٢٣.

(٢٤) رأفت الشيخ ومحمد رفعت : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر(القاهرة : عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠١م) ص١٦٩ .

(٢٥) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٢٥-٢٢٧.

(٢٦) رأفت الشيخ : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، مرجع سابق ، ص٢١٨ .

(٢٧) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٢٤.

(٢٨) عادل الفلاح : طاجيكستان(القاهرة: لجنة مسلمي آسيا ، ١٩٩٥م) ص ٢٥-٣٠ .

(٢٩) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٣١ .

(٣٠) رأفت الشيخ : آسيا في التاريخ الحديث، مرجع سابق ، ص٢٦٨.

(٣١) عادل الفلاح : تركمانستان ،(لجنة مسلمي آسيا، الكويت ١٩٩٥م) ص١٢.

(٣٢) رأفت الشيخ : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، مرجع سابق ، ص ٢٣٨.

(٣٣) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٤٦ .

(٣٤) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية،(القاهرة : دار المعارف١٩٨٠م) ص١٩٤ .

(٣٥) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٨٢ .

(٣٦) إيمان يحيى : انهيار الاتحاد السوفيتي، مرجع سابق ، ص٤ .

(٣٧) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان،مرجع سابق ، ص٩ .

(٣٨) محمد السمان: محنة الأقليات المسلمة ، مرجع سابق ، ص ١٩٨.

obeikandl.com

(٣٩) حيدر عبد الرازق : جمهوريات آسيا الوسطى والهوية الثقافية ، (الفكر الجديد، العدد ٢٥ مارس ١٩٩٣م) ص٥ .

(٤٠) شيرين فهمي : قمة شنغهاي تحالف ضد الهلال والكابورى (إسلام أون لاين نت /عربي /مقالات /سياسة/٢٠٠٢م) .

(٤١) عمر عاشور : مجموعة شنغهاي تحالف مصلحي أم صراع حضاري ، (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م) .

(٤٢) مسلمو أوربا وآسيا الوسطى ، (الفكر الجديد، العدد الخامس، مارس ١٩٩٣م) ، ص٥ .

obeikandl.com